الصباح الإسلامية
09
العدد 2434 - السنة التاسعة
الأربعاء 28 جمادى الآخرة 1437 - الموافق 6 إبريل 2016
Wednesday 6 April 2016 - No.2434 - 9th Year

إعداد : ياسر السيد

بركة النبي صلى الله عليه وسلم

البركة هي: النماء والزيادة في الخير، وهي ثابتة في الشرع للقرآن الكريم، والأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وزمزم، ولبعض الأزمنة والأمكنة، كمكة المكرمة والمدينة المنورة، وشهر رمضان ويوم الجمعة، وقد ثبتت بركة النبي - صلى الله عليه وسلم - بأدلة كثيرة قطعية اتفق عليها المسلمون، وقد رأى الصحابة - رضوان الله عليهم - هذه البركة بأعينهم، فكانوا يقتتلون على وضوئه، ويأخذوا من ريقه وعرقه، ويمسحوا أبدانهم بيده، ويحرصوا على ملامسته، وكل ذلك بمرأى منه وإقرار - صلوات الله وسلامه عليه -.

عن المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - قوله عن يوم الحديبية : (فوالله ما تنخم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه) رواه البخاري.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يُؤتى بإناء إلا غمس يده، فيها فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها) رواه مسلم.

وعن الوليد بن عقبة - رضي الله عنه - قال: (لما فتح نبي الله - صلى الله عليه وسلم - مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح رءوسهم) رواه أبو داود.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: (كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبيّ - صلى الله عليه وسلم - أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟، فقال له: أبشر، فقال: قد أكثرت عليّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: ردّ البُشرى، فاقبلا أنتما، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة) رواه البخاري.

قال النووي: « في الحديث: فضيلة ظاهرة لأبي موسى وبلال وأم سلمة - رضي الله عنهم -، وفيه استحباب البشارة واستحباب الازدحام فيما يُتبرك به وطلبه ممن هو معه، والمشاركة فيه ».

وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - أنها أخرجت جبة طيالسة (نوع من الثياب)، وقالت: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يُستَشفَى بها) رواه مسلم.

ووقائع السيرة النبوية فيها الكثير من الشواهد والأمثلة الدالة على بركة النبي - صلى الله عليه وسلم - في لمسه للأشياء، ومنها :

مع بعض أصحابه :

من الكرامات والمعجزات التي أكرم الله بها نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم -، حصول الشفاء من الله - عز وجل - لبعض أصحابه ببركة لمسه لأماكن مرضهم أو إصابتهم.

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون (يخوضون في الحديث) ليلتهم أيهم يُعطاها؟، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب ؟، فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه، ودعا له فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية) رواه البخاري.

وعن يزيد بن أبي عبيد - رضي الله عنه - قال: (رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة؟، فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة) رواه البخاري.

ومن ذلك ما حصل مع الصحابي عبد الله بن عتيك - رضي الله عنه - حينما انكسرت ساقه في طريق عودته من قتل أبي رافع اليهودي، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: (ابسط رجلك، قال: فبسطتُ رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط) رواه البخاري.

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : (دخل عليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصبّوا علي من وضوئه فعقلت) رواه مسلم.

ومن ذلك بركة يده - صلى الله عليه وسلم - فيما لمسه وغرسه لسلمان - رضي الله عنه -، فعن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله: (أنه أخبره أن آباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقا لرجل من اليهود، فاستنظره جابر، فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليشفع إليه، فجاءه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمشى فيها، ثم قال: يا جابر، جد له فأوفه الذي له، فجدّ بعدما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأوفاه ثلاثين وسقا، وفضلت له سبعة عشر وسقا، فجاء جابر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخبره بالذي فعل، فوجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي العصر، فلما انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءه فأخبره أنه قد وفاه، وأخبره بالفضل الذي فضل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أخبر ذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال عمر - رضي الله عنه -: لقد علمت حيث مشى فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليباركنّ الله عز وجل فيها) رواه البخاري.

لقد توقع عمر - رضي الله عنه - أن يقضي التمرُ مع قلته ديْن جابر - رضي الله عنه - وذلك ليقينه ببركة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قال ابن حجر: « وفيه عَلَم ظاهر من أعلام النبوة، لتكثير القليل إلى أن حصل به وفاء الكثير، وفضل منه ».

وقال ابن كثير: « وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة، وحاصلها أنه ببركة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ودعائه له، ومشيه في جائطه وجلوسه على تمره، وفي الله دين أبيه، وكان قد قتل بأحد، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده، ومع هذا فضل (بقي) له من التمر أكثر وفوق ما كان يؤمله ويرجوه ولله الحمد والمنة ».

مع فرس أبي طلحة، وجمل جابر :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فركب فرسا لأبي طلحة بطيئا ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه، فقال: لن تراعوا) رواه البخاري، قال أنس - رضي الله عنه -: « فوالله ما سُبِق (فرس جابر) بعد ذلك اليوم ».

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: (غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: فتلاحق بي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير، فقال لي: ما لبعيرك؟، قال: قلت عيي، قال: فتخلف رسول الله فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، فقال لي كيف ترى بعيرك؟، قال: قلت بخير، قد أصابته بركتك) رواه البخاري.

قال ابن حجر في الفتح: « آل أمر جمل جابر لما تقدم له من بركة - النبي صلى الله عليه وسلم - إلى مآل حسن، فرأيت في ترجمة جابر من تاريخ ابن عساكر بسنده إلى أبي الزبير - رضي الله عنه قال: فأقام الجمل عندي زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر، فعجز فأتيت به عمر فعرفت قصته، فقال: اجعله في إبل الصدقة وفي أطيب المراعي، ففعل به ذلك إلى أن مات ».

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - حريصين على ملامسة أو ملامسة شيء لمسه النبي - صلى الله عليه وسلم - رجاء البركة، فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: (جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ببردة، فقال: سهل للقوم أتدرون ما البردة؟، فقال القوم: هي الشملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه؟، فأخذها النبي - صلى الله عليه وسلم - محتاجا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها، فقال: نعم، فلما قام النبي - صلى الله عليه وسلم - لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها!!، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوتُ بركتها حين لبسها النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي أكفن فيها) رواه البخاري - وفي رواية أخرى قال الصحابي: (والله إني ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه) .

ويظهر في هذا الحديث وغيره تعظيم الصحابة - رضوان الله عليهم - لكل ما لامس جسد النبي - صلى الله عليه وسلم - فالصحابي السائل ما طلب البردة ليلبسها، بل طلبها ليكفن بها، تبركا بملامستها لجسد النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولولا علم الصحابة بجواز ذلك لأنكروا عليه، ولو أنهم كانوا يجهلون المسألة أصلا، لسألوا عنها النبي - صلى الله عليه وسلم -.

حذار.. من اتباع خطوات الشيطان

العداوة بين الشيطان وبين بني الإنسان عداوة قديمة بقدم خلق آدم عليه السلام، وقد أظهر إبليس تلك العداوة وأعلن بها حين أمره الله والملائكة بالسجود لآدم، فسجد الملائكة أجمعون وأبى إبليس واستكبر: فأخرجه الله من جنته، وطرده من رحمته.. فأقسم اللعين من حينها بعزة الله ليضلن بني آدم أجمعين، وليغوينهم، وليقعدن لهم بكل طريق، وليسلكن في إضلالهم كل سبيل.. ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص:82)، وقال: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ۖ ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ (الأعراف:16، 17)، وقال: ﴿لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ۚ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾ (النساء:116، 117).

ولما كان بعض الناس قد تغيب عنه هذه الحقيقة - أعني عداوة إبليس لهم، وتربصه بهم - ذكرنا الله بها في كتابه: قطعا للمعاذير، وإقامة للحجة على الخلق أجمعين، فقال: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ۚ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ (فاطر:6)، وقال لآدم: ﴿إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (طه:117).

ولما كان الشيطان خبيثا في إغوائه، ماكرا في إضلاله، يستعمل الإيمان الكاذبة، والمقاييس الفاسدة، والمداخل المحببة إلى النفوس، مع خبرة عجيبة بمكامن ضعف الإنسان، وتدرج مذهل للإيقاع به خطوة خطوة، بهبة لا تعرف الكلل، وصبر لا يعرف الملل، فهو يوسوس ويسول، ويخوف ويزين، وينسي ويمني؛ حتى يوقع العبد في شراكه، ثم يحكم عليه نصب شباكه، فلا يستطيع منه فكاكا إلا أن يشاء الله.

ولهذا حذرنا الله من خبث الشيطان، ومن اتباع خطواته، وذلك في أربعة مواضع من كتابه العزيز:

في سورة البقرة 168: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ۚ إنه لكم عدو مبين﴾. وفي سورة الأنعام 142: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا ۚ كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ۚ إنه لكم عدو مبين﴾. وفي سورة النور 21: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ۚ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾. وفي سورة البقرة 208: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ۚ إنه لكم عدو مبين﴾.

وكما هو واضح: فالآيتان الأوليان منها وردتا في معرض الحديث عن الأطعمة وتحري الحلال كسبا وأكلا، والتخويف من الحرام كسبا وأكلا، لأن الشيطان أكثر ما يزين للناس أكل ما حرم الله وشرب ما حرم الله من الخمور والمسكرات والمخدرات والدخان، وكذلك كسب ما حرم الله من الربا والرشوة، فتارة يخوفهم من الجوع والفقر، وتارة يمنيهم بالسعة والغنى والسعادة ونيل الشهوات والمباهج والملذات. ويتحايل عليهم بتغيير الأسماء أو يفتاوى ضالة تأتي من هنا أو هناك.

وأما الآية الثالثة فجاءت في سياق النهي عن الفواحش والعلاقات المحرمة، وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وفي معرض أمر النساء بالحجاب، ونهيهن عن الاختلاط، والخضوع بالقول، والأمر بغض الأبصار للجنسين جميعا، وحفظ الفروج وصيانة الأخلاق؛ سدا لأبواب الفواحش والرذائل.

ومعلوم أن شهوة البطن والفرج هما أكثر ما يغزو الشيطان منهما بني الإنسان، وهما أكثر ما يدخل الناس النار، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: [الفم والفرج].

وأما الآية الرابعة فجاءت في معرض التخلص والحماية من هذه الخطوات: فإذا أردتم أن تحموا أنفسكم من أكل الحرام وكسب الحرام، والوقوع في الفواحش والآثام، فالتزموا دين الرحمن، وتمسكوا بشريعة القرآن، ولا تفرطوا في شيء من الإسلام، ولا تتساهلوا في شيء منها اتباعا لخطوات الشيطان ففي التزامها الحماية والعصمة ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾.

تعبير معجز

إن التعبير القرآني بلفظة خطوات هو من معجزات ألفاظ القرآن وفيه دلالات:

أولها: أن الخطوة مسافة قصيرة، وهكذا الشطان يبدأ بالشيء اليسير.

ثانيا: كلمة خطوات فيها دلالة على أنه لن يقف عند أول خطوة في المعصية، بل هي خطة ستتبعها خطوات، وسبلة ستتبعها حتما سبلات.

ثالثا: فيها رسم واضح المعالم لتدرج الشيطان في غوايته: بدءا ببواعث المعصية في النفس حتى السقوط فيها ثم الاستمرار عليها ثم المداومة إلى الموت إلا أن يعصم الله. فهو يبدأ غوايته بخطرة، ثم فكرة، ثم هم، ثم عزم، ثم فعل، ثم عادة، ثم سلوك، ثم مجاهرة، والخاتمة يعلمها الله وحده.

فإذا أردت أن تنجو من حبائل الشيطان فلا تتبع خطواته، بل احذر أول خطوة.

احذر أول خطوة:

احذر أول خطوة: لأنها تبدأ بأصغر وأهون وأيسر الأمور، وتنتهي بأعظم الكبائر، فإن غاية إبليس ومقصده واحد: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

احذر أول خطوة: فكم أوصلت الخطوة بعد الخطوة أناسا إلى مهاوي الضلالة، وقد كانت البداية من الصغائر على حين غفلة وتفريط وبعد عن الله عز وجل.

احذر أول خطوة: فإن المعصية باب مغلق، إن تجرأت على فتحة مرة سيسهل عليك فتحة مرات ومرات، فاحرص ألا تفتحه ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾.

احذر أول خطوة: فإن أصعب الحرام أوله، ثم يسهل ثم يستساغ، ثم يؤلف، ثم يحلو، ثم يطبع على القلب، ثم يبحث هو عنه أو عن حرام غيره، ثم ينشره ثم يدعو إليه.

عواقب وخيمة

إن طاعة الشيطان واتباع خطواته تعود على متبعيه بأربعة أمور كلها أسوأ من بعض، وكلها يأمر بها إبليس أتباعه ويدعوهم إليها:

الأمر بالسوء، وإشاعة الفحشاء والأمر بالمنكر، والكذب على الله.. قال تعالى: ﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾، وقال: ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾

قال بعض أهل العلم: الضمير في ﴿إنه﴾ راجع إلى الشيطان، فإنه يدعو أتباعه إلى ذلك.

وقال بعضهم إنما يعود الضمير على أتباع إبليس، فمن يتبع خطوات الشيطان فإنه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد فيأمر هو بذلك.. كما قال بعضهم:

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى .. بي الحال حتى صار إبليس من جندي

فإن مات قبلي كنت أحسن بعده .. طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

احذر على عملك

فإذا وفقك الله للقيام بأي طاعة فاحذر إبليس قبل العمل وأثناء العمل وبعد العمل:

فهو قبل العمل: يحاول أن يقعدك عنه، ويمنعك منه، ويزهدك فيه، أو أن يصرفك إلى خير أقل منه، وقد ورد في الحديث: [إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه]، وأثناء العمل: يحاول أن يصرفه عن الإخلاص والصدق إلى الرياء والسمعة؛ ليحبط عمله ويضيع أجره.

وبعد العمل: يحاول أن يوقعه في العجب أو يطلق لسانه بالمن، فيبطل صدقته بالمن والأذى.

كيف نواجه الشيطان

بعد أن باءت لنا بكل وسيلة، يأتي السؤال المهم: كيف نواجه خطوات الشيطان؟

والإجابة أن ذلك يكون بأمور:

أولا: بالعلم ومعرفة مداخله ومخارجه: قال ابن الجوزي رحمه الله: اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم. وقال بعضهم: فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتفقد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشياطين من أين تأتيه.

ثانيا: العمل على زيادة الإيمان و صدق التوكل على الله : فإن الله تعالى قال عن إبليس: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

ثالثا: الصوم: فإنه يقوي العزيمة، ويسد مجاري الشيطان، وقد روي: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا عليه مجاريه بالصوم.

رابعا: دوام ذكر الله: فإنه الجنة التي تحميك من الشيطان، والحصن الذي لا يستطيع دخوله، وقد أخبر الله عن الشيطان أنه وسواس خناس، فإذا غفلت عن الذكر التقم قلبك، فإذا ذكرت الله خنس وولى وذهب وهرب، وليس شيء أشد على الشيطان من الذكر، وليس شيء أحب إليه من الغفلة ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾، ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾.

خامسا: الاستعاذة بالله منه: وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستعيذ به من إبليس كما روى البزار مرسلا عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تعوذوا بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه].

وأمرنا الله أن نتعوذ به سبحانه من إبليس فقال: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾، وقال: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾، وقال: ﴿قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس﴾.